

جامعة أبي بكر بلقايد تلسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

المؤتمر الوطني الأول : التصوف قراءة في فكر الآخر.

1-الأستاذ: الدكتور مسعود بودريالة

2-الدكتورة: سليمة براهمي.

– أستاذ محاضر في الأنثروبولوجيا ومقارنة الأديان.

- التخصص : مقارنة الأديان.

- جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

- جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

البريد الإلكتروني: [messaoudb04@gmail.com](mailto:messaoudb04@gmail.com)

[saliadnane66@gmail.com](mailto:saliadnane66@gmail.com)

الهاتف: 0668984278.

0675248000

المحور الثاني: التصوف في الديانات السماوية عموما والإسلام خصوصا

عنوان المداخلة: علاقة التصوف الإسلامي بالقبالة اليهودية والرهينة المسيحية

دراسة مقارنة في الأديان الثلاثة

الملخص:

يعد التصوف حركة باطنية روحية دينية ومنهج روحي في الحياة وسلوك تعبدية، حيث أسهمت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة في تحليل هذه السلوكات التعبدية وأبعادها التي تتراوح بين الباطن الدافع، والظاهر الممارس، وهو ما يضبط الأسس حول فلسفة معرفية ذوقية باطنية وجدانية بين الإله والإنسان؛ علاقة تعلق على معرفة الحواس والعقل،

عُرف التصوف في اليهودية بمسمى "القبالة"، وفي المسيحية "الرهينة"، وفي الإسلام "التصوف"، وما تهدف له هذه الدراسة المقارنة بين التصوف الإسلامي من منظور ابستمولوجي للبحث في تقاطعاته مع الأنساق الصوفية السابقة له (القبالة والرهينة)، والبحث في الخلفيات النظرية والتشابه والممارسات وحتى الطقوس أيضا. الكلمات المفتاحية: التصوف، القبالة، الرهينة

Absract:

Sufism is an esoteric, spiritual, religious movement, a spiritual approach to life, and devotional behavior. Modern anthropological studies have contributed to the analysis of these devotional behaviors and their dimensions, which range from the subconscious motive to the exoteric practice, which sets the foundations around a philosophy of knowledge, taste, mystical sentimentality between God and man. A relationship that transcends the knowledge of the senses and the mind.

Sufism was known in Judaism as "Kabbalah", in Christianity "monasticism", and in Islam "tasawwuf". Theory, similarities, practices and even rituals too.

Keywords: Sufism, Kabbalah, monasticism

مقدمة:

التصوف ظاهرة اجتماعية دينية ذو قالب فلسفي، و نزعة روحية ذوقية تعتمد على التجربة الذاتية الوجدانية، يعود تاريخه إلى البدايات الأولى للفكر الانساني الذي ظهر وفق النسق الإيديولوجي العقدي، حيث عرفته الحضارات الشرقية القديمة كالحضارة الهندية وحضارة ميزوبوتامي والحضارة اليونانية، والذي تأثر به الفكر الديني في الديانات السماوية، حتى أضحى من أهم مباحثه، حيث تتسم هذه الظاهرة بتنوع أنساقها داخل كل فكر ديني فهي القبالة في اليهودية والرهبنة في المسيحية والتصوف في الاسلام.

وما نحن بصدد دراسته في هذه المداخلة هو البحث بشكل موضوعي عن علاقة التصوف (التصوف المتأخر عن الزهد ق3هـ) بحركة القبالة والرهبنة ومحاولة الكشف عن تلك الرواسب الفكرية التي ساهمت في تكوين البنية الصوفية في الإسلام، خاصة أن التصوف قد عان من صراع تيارين متعاكسين؛ تيار مؤيد يرى أن التصوف وليد البيئة الإسلامية ولا علاقة له بمصادر أجنبية وتيار رافض له على أساس أنه دخيل على الاسلام.

## اشكالية البحث:

- ما هي علاقة التّصوّف الإسلامي بالقبالة اليهودية والرهبنة المسيحية؟ ويندرج تحت هذه الإشكالية عدة أسئلة فرعية أهمها:

- ما هو مفهوم هذه الظاهرة في كل دين من هذه الأديان؟

- وهل هذه المفاهيم تحددها الخلفيات الدينية في دين منها، أم تحددها ممارسات أتباعها؟

- فما العلاقة ما بين التصوف الإسلامي والقبالة اليهودية والرهبنة المسيحية (تأثيراً وتأثراً)؟

- وماهي أهم آليات التأثير والتأثير فيما بينها؟

وللإجابة على هذه الأسئلة قسمنا بحثنا إلى أربعة مباحث أو محاور أساسية؛ الأول تتطرقنا فيه لمفهوم القبالة في اليهودية وكيفية نشأتها، والثاني للحديث عن الرهبنة في المسيحية، والثالث خصصناه للتصوف في الإسلام، أما الرابع فكان للحديث عن آليات التأثير والتأثير ما بين هذه الديانات وعلاقتها بالفلسفة اليونانية. متبعين في ذلك المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي اللذان يخدمان طبيعة الموضوع

### أولاً: القبالة في اليهودية:

#### أ- تعريف القبالة:

يُعرف التراث الصوفي اليهودي باسم "القبّالة"، وهي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية عند اليهود. و القبالة كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي "التقاليد والتراث" وكان يُقصد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم "الشريعة الشفوية"، ثم أصبحت الكلمة تعني من أواخر القرن الثاني عشر، "أشكال التصوف والعلم الجاهلي المتطورة"<sup>1</sup>، هذا في المعنى اللغوي أما الاصطلاح فالقبالة تطلق على التأويل الخفي للتوراه وهي خليط من الفلسفة والتصوف والسحر، إضافة إلى ذلك يمكن أن تعرف

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " اليهودية ..المفاهيم والفرق " ط1، المجلد 5، (مصر، 1999

بأنها كتاب فلسفي قديم يلخص تعاليم الديانة الشعبية لبني إسرائيل منذ نشأته،<sup>2</sup> ويعرفها جوزيف دان Joseph Dan بأنها " الحقيقة التي تلقاها موسى عن الله"<sup>3</sup>

أما شالوم غارشوم scholem Gershom، فيقول: "بأنها المصطلح التقليدي الأكثر استعمالاً،

والذي يفيد التعاليم الباطنية للديانة اليهودية"<sup>4</sup> أما ميخائيل لايمان فيرى أن علم القبالة هو نظرية وطريقة يتعرف الإنسان من خلالها على معرفة وإدراك العالم الروحي، فهذا العلم يشرح لنا العالم الروحي من خلال دراسة تفصيلية للمخطط البياني الذي بنى عليه الكون بأشملة ويعلمنا كيف نحصل على الحاسة السادسة فيستطيع الإنسان الاحساس بالعالم الروحي، علم القبالة ليس هو علم ذو دراسة نظرية فحسب ولكنه علم عملي جدا فمن خلاله يتعلم الإنسان عن نفسه من هو وما طبيعته البشرية...ولهذا السبب دعيت القبالة بالحكمة الخفية<sup>5</sup>

ب- نشأتها:

أما عن تاريخ نشأة الكبله فإن القباليون يؤكدون أن تعاليم الكبله صدرت عن الله وهذا ما يشير إليه صموئيل ليدل ماكجريجور ماذرز(1854-1918م) حيث يقول: "تعاليم القبالة علمها الله أولاً لجماعة مختارة من الملائكة والذين شكلوا بدورهم مدرسة صوفية في الجنة، وبعد هبوط آدم من الجنة إلى الأرض قامت الملائكة بكثير من اللطف والعناية بإبلاغ هذا المذهب للطفل العاصي في الأرض " آدم" ليزوده بدوره إلى طبقة السعداء والنبلاء، فمن آدم مر هذا الاتصال إلى نوح ثم إلى إبراهيم الذي نقله بدوره إلى مصر، حيث سمح الله تعالى لجزء من هذا المذهب الغامض بالتسرب، وقد تسرب منه جزء إلى المصريين، وبعض الأمم الشرقية وضافته إلى أنظمتها الفلسفية، ثم تعلمه موسى قبل نزول الشريعة وألواح التوراه عليه، وقد استعمل هذا المذهب في حل الصعوبات التي واجهته أثناء إدارته للشعب الإسرائيلي، وهو مذهب يحظى بسرية تامة، ثم قام موسى بتلقي أسرار الشيوخ السبعين لكنه لم يكتب إلا على يد الربى شمعون بن يوحاي (100-160م) والذي عاش وقت دمار المعبد الثاني، وهو احد علماء التنايم، والذي قام بكشف سر هذا المذهب لتلاميذته وابنه "اليعازر" و وزير الحبر "آبا" اللذان قاما بعد وفاة شمعون بترتيب أطروحات هذا

2-، جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ط-ي) (دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982م) ج2. ص 183

3- فضيلة سنوسي: التفسير الحلوي لمسألة الخلق في التصوف اليهودي، مجلة مقاربات فلسفية، (الجزائر المجلد 9/العدد1(2022))، ص 97

4- المرجع نفسه، ص 97

5- ميخائيل لايمان: علم الكبله للمبتدئين، ط3 (دار النشر حكمة الكابالة، 2005م)، ص 8

المذهب وسموه "الزوهار"،<sup>6</sup> ومعنى الزوهار بالعربية "النور" أو الضياء "وتسميته هذه مأخوذة من التوراه"، وهناك من يرى أن واضعه هو موسى الليوني (1250-1305م) وقد دونه بالأرمة في اسبانيا.<sup>7</sup>

وتتصل أسرار الزوهار بالتوراه وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد القباليين معنى باطني.<sup>8</sup>

أما بالنسبة للمؤرخين وعلماء تاريخ الأديان فقد أكدوا على أن هذا المذهب الصوفي ظهر ابتداء من القرن الثاني عشر، حيث أن هناك دليل على وجود الفكر الثيوصوفي في الديانة اليهودية، والذي يأتي من منطقة بروفنس الواقعة في جنوب فرنسا، والتي أصبحت خلال الصف الثاني من القرن الثاني عشر مركز النشاط الفكري اليهودي، حيث ترجم فيها كثير من النصوص الفلسفية العربية وغيرها إلى العبرية، وسنتطرق لذلك فيما بعد، وفيها وُجد العديد من الرابينين اليهود يتبنون الأفكار القبالية منهم "إبراهيم بن داود" والذي يعتبر شيخ صوفية بروفنس ولكن كتابات هؤلاء الرابينين المتعلقة بالقبالة كانت قليلة مقارنة بالكتابات المتعلقة بالهالاخاه (الشريعة) ولعل السبب في ذلك هو إصرارهم على أن تبقى تعاليم القبالة سرية تقتصر فقط على فئة قليلة من رجال النخبة.<sup>9</sup>

ثم أصبحت معلنة بداية من القرن الثالث عشر، وفي منتصفه انتقل مركز القبالة إلى اسبانيا (الأندلس) أين نشأت حلقات صوفية، حاولت التواصل مع الإله عن طريق التأمل في تجلياته النورانية، وكذا التأمل في حروف الكتاب المقدس وقيمها العددية، وفي هذه الفترة أيضا ظهر إبراهيم أبو العافية (1240-1292م) الذي أقبل على دراسة الشريعة وشروحها والمشناه والتلموذ والحسابات القبالية.<sup>10</sup>

ثم انتشرت القبالة بشكل كبير في القرن السادس عشر مع ظهور المطبعة العبرية، حيث طبعت من الزوهار طبعتان كاملتان بين عامي 1558م و1560م، في كريمونا ومانتوا في إيطاليا، ثم تبعتهما طبعات أخرى في أزميز وسالونيك وألمانيا وبولندا. وقد أدّى كل ذلك إلى انتشار القبالة على نطاق

6- فضيلة سنوسي: التفسير الحلولي لمسألة الخلق في التصوف اليهودي، (مرجع سابق)، ص 98

7- كتاب أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، دط، (دار الأمل، الأردن، 2003)، ص 14

8- المرجع نفسه، ص 14

9- آلان أنتومان: اليهود عقائدهم واليدين وعباداتهم، تر: عبد الرحمان الشيخ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2004م) ص 185

10\_ فضيلة سنوسي: التفسير الحلولي لمسألة الخلق في التصوف اليهودي، (مرجع سابق)، ص 99

واسع يفوق انتشار التلمود. حيث احتلت كتب القبّالاه مكان الصدارة بين كل الكتب الدينية.<sup>11</sup>  
ثانيا- الرهبنة في المسيحية:

#### أ- تعريفها:

يرى الباحثون أن المصطلح يعبر عنه باللغة الإنجليزية Mysticism وهي مشتقة من كلمة Myein الإغريقية وهي تعني تلقين مبادئ فن أو موضوع ما، كما تعني أيضا غلق.

كما يلاحظ بعض الباحثون وجود علاقة ارتباط لغوي بين الكلمات Myth وتعني أسطورة وكلمة Mysticism وتعني تصوف وكلمة Mystery وتعني الغموض واللغز والسر، وهي جميعا مشتقة من الفعل اليوناني Musteion والذي يعني غلق العينين أو الفم، ومن هنا فالكلمات الثلاثة مرتبطة بالظلمة والصمت لذلك اتخدم لفظ " مستيسم بأكثر من معنى؛ منها الثيوصوفي أو التفسير المجازي للكتاب المقدس.<sup>12</sup>

وفي الاصطلاح؛ الرهبنة طريقة زهد وعبادة يختارها البعض من الذين يقصدون الكمال يعيشون فيها عيشة مشتركة تحت قانون معين، كما أنها فلسفة الشريعة المسيحية، والرهبان عندهم بمثابة ملائكة أرضيون وبشر سماويون،<sup>13</sup> والرهبنة هي حياة عزوف وتنسك يتم فيها اتباع قاعة مشتركة وصولا إلى الكمال عن طريق الفقر والعفة والطاعة، ومن التعريفات المستخدمة لدى المسيحيين أيضا، هو الشعور بالوحدة مع الله، وهو طلب معرفة الله والتكلم معه وجها لوجه، وهو النزوع إلى المطلق أبديا بواسطة الرموز، وهي في مجملها تعريفات تعبر عن جوهر ومضمون التصوف المسيحي وهو الاتصال باللامتناهي أي الاتحاد بالرب وذلك من خلال اتحاد اللاهوت بالناسوت أي اتحاد اللاهوت بالناسوت أي احلال الله في المسيح وبه يتم الخلاص.<sup>14</sup>

#### ب- نشأتها:

يرجع تأسيس الرهبانية رسميا إلى القديس أنطونيوس الذي ولد سنة 251م ببلدة قمن (مصر)،

11- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " اليهودية .. المفاهيم والفرق "، (مرجع سابق)، ص 255

12- محمود عبد الرزاق حسن محمود: قراءة التصوف الإسلامي في المدرسة الفرنسية الاستشراقية " ماسينيون نموذجاً"، (رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم الفلسفة، جامعة بنغازي ليبيا، 2012م)، ص 36

13- ميخائيل مينا: علم اللاهوت (أهم الاختلافات العقديّة بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية)، دط، دت، ص 129

14- محمود عبد الرزاق حسن محمود: قراءة التصوف الإسلامي في المدرسة الفرنسية الاستشراقية، (مرجع سابق)، ص 37

ينحدر من عائلة غنية، إلا أنه اختار حياة الزهد بعد حادثة زهابه للكنيسة وأخذ يتأمل هناك سائلا نفسه كيف ترك الرسل كل شيء وتبعوا سيدهم وكم كانت سعادتهم، وبينما هو مستغرق في هذه الأفكار سمع قول الرب للشباب الغني "إن أردت أن تكون كاملا فأذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني" <sup>15</sup> فباع كل ممتلكاته ووزع ثمنها على الفقراء والمساكين ثم انفرد في البرية للنسك والعبادة مبتعدا عن الحياة وزينتها، حتى ذاع صيته، فقصده الناس والتابعين فابتنى لهم الأديرة و سن لهم القوانين التي يكسيرون عليها في حياتهم النسكية، وظل على ذلك حتى توفي عن عمر 103 سنة، ولقد ساعد هذا القديس في تأسيس الرهبنة الآباء القديسون "بولا" و"باخوميوس" و"مكاريوس" المصري، غير أن القديس بولا كان أسبق الجميع في سلوك هذه الطريق. <sup>16</sup> ثم أصبح الشرق الأدنى ينافس مصر في عدد رهبانها وراهباتها وعجائب فعالهم، فكانت أطاكيا وبيت المقدس خليتين مليئتين بالصوامع والرهبان والراهبات، وكانت صحراء سوريا غاصة بالنسك، منهم من كان يشد نفسه بالسلاسل إلى صخرة ثابتة لا تتحرك كما يفعل فقراء الهند، ومنهم من كان يحتقر هذا النوع المستقر من المساكن، فيقضي حياته في الطواف فوق الجبال يطعم العشب البري، <sup>17</sup>

### ثالثا: التصوف في الاسلام

#### أ- تعريفه:

لهذا اللفظ العديد من الاشتقاقات، منها أنه مأخوذ من الصفاء" <sup>18</sup> ، ومنها أنهم سموا صوفية لأنهم في الصف الاول بين يدي الله عز و جل <sup>19</sup> .  
ومنهم من رأى أنما سموا صوفية للبسهم الصوف <sup>20</sup> .  
ومما يرتبط بجعل كلمة التصوف مشتقة من الصوف هو ما حكي أن أول رجل نذر نفسه كلية لخدمة الله كان يجاور الكعبة يكنى ب " صوفة" وكان اسمه " غوث بن مر" ولقد راقته هذه التسمية فيما يبدو الزهاد والعباد. <sup>21</sup>

15- مت 21/99

16- ميخائيل مينا: علم اللاهوت (أهم الاختلافات العقديية بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية)، مرجع سابق، ص 132

17- احسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، ط 1، (إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1986م)، ص 69

18 - أبي نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقق: عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور، ( دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م) ص 40

19- إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر (مرجع سابق)، ص 20

20- المرجع نفسه، ص 21

أما البيروني فقد انفرد (ق 5 هـ) من بين كتاب العرب بقوله: ان هناك صلة بين اسم الصوفي والكلمة اليونانية " سوفيا"، وأخذ بهذا الرأي الباحث " جوزيف فون هامر" الذي يقول: إن كلمة صوفي مأخوذة من كلمة "Gymno Sophist"، ومعناها "الحكيم العاري" وهو لفظ يوناني اطلقه اليونان على بعض حكماء الهنود القدماء الذين اشتهروا بحياة التأمل والعبادة<sup>22</sup>.

تعريفه الاصطلاحي:

حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كترعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة؛ كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري، ثم تطورت تلك الترععات بعد ذلك . حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية<sup>23</sup>، هذا بالنسبة للتعريف العام أما الصوفية بلسان أصحابها فهي أيضا تأخذ العديد من المفاهيم المتباينة منها ؛ تعريف الجنيد حين سئل عن التصوف، فقال: " أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة"، وينقل القشيري عن الجنيد أيضا أنه قال: التصوف عقدة لا صلح فيها"

وذكر السلمي عن أبي محمد المرتعش النيسابوري أنه سئل عن التصوف فقال: الاشكال والتلبيس والكتمان<sup>24</sup>

ب- نشأته:

بعد أن مات الصحابة تركوا جيلا آخر خلفهم سمي جيل التابعين ، ثم جاءت بعد جيل التابعين طائفة من الناس اختصت بالزهد والعبادة والبعد عن الناس ترك شؤون الدنيا والارتباط بالآخرة وما تطلبه من سلوك عملي وهؤلاء سموا " الزهاد".

وهؤلاء الزهاد سعوا نحو كل ما من شأنه ان يقربهم من الجنة ويبعدهم عن النار ، ومن هنا نرى بعضهم قد زهد في الملابس والماكل والمسكن لحرصه الكامل على ان يكون من الفائزين ، وابتداء من القرن الثالث الهجري بدأ الزهد يتطور الى التصوف وأصبح التصوف إبنا شرعيا للزهد الذي ظل طوال القرنين الاول والثاني في الغالب ، وبعد ان كان الزهاد يكتفون بالسلوك العملي بدأ الصوفية الى جانب ذلك في الكتابة، وأخذ الاطار النظري يقف جنبا الى جنب مع السلوك العملي، وبدأت

21- فيصل بدير عون: التصوف الاسلامي الطريق والرجال، (مرجع سابق)، ص 47

22- أحمد محمود صبحي: التصوف، دط، (دار المعارف، مصر، دت)، ص 8

23 - عبد الله المصلح: التصوف في تهامة اليمن ، ص 14، الموقع: [www.alsoufia.com](http://www.alsoufia.com)، التاريخ: 06-02-2018م..

24- إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر (مرجع سابق)، ص 37.



حركات التأليف في التصوف تخرج الى حيز الوجود<sup>25</sup>

رابعا: مواطن التأثير والتأثير ما بين التصوف والرهبة والقبالة:

أ- التأثير الجغرافي والحضاري:

1- ديانات الفرس:

من الباحثين من يرد التصوف بمسمياته المختلفة إلى أصول الديانات الفارسية التي ظهرت

بخرسان حيث تلاقت الديانات والثقافات الشرقية<sup>26</sup>، خاصة الزرادشتية التي انتشرت في إيران والمدن المجاورة لها،<sup>27</sup> وجوهرها أنها تؤمن بوجود إله أعظم عالم للماضي والحاضر، وهو خالق الخلق، كما تعتقد هذه الديانة أن الخلاص من القيود المادية إلى الحياة الروحية لا يكون إلا بالطهارة الخالصة، عن طريق التحرر النهائي من الجسد والمادة وقيودهما.<sup>28</sup>

وبطبيعة الحال تأثر اليهود بالزرادشتية نتيجة الأسر والسبي البابلي (586 ق.م) وعاشوا تحت الحكم الفارسي، ثم صاروا رعايا الإمبراطورية المقدونية بالتبعية،<sup>29</sup> حيث أخذ عدد من الأحرار بالآراء الشرقية ودين الفرس وزرادشت، فخرجوا بمجموعة باطنية من الحكم تتعلق بأسرار الكون، وبالآله والكائنات،<sup>30</sup> وهذا ما أثر على حركة القبالة فيما بعد، فهي ترد في أصولها وجذورها إلى بلاد بابل، كما أن المعتمد عند مؤرخة الفكر الديني عند اليهود أن تعاليم القبالة، بخاصة في جوانبها العملية السلوكية كانت قد نفذت إلى أوروبا من قبل صوفي عراقي الأصل والنشأة، وهو "أبو هارون بن صموئيل"، من مدعي الخوارق والكرامات والنزعات الباطنية المنتشرة في الشرق، الذي هاجر إلى إيطاليا ونشر تعاليمه بين أفراد من عائلة كالانيموس، الذين نقلوها بدورهم إلى ألمانيا في القرن العاشر الميلادي، حيث بلغ القبالة أوج تأثيراته فيها في القرن الثالث عشر، وكان من مشاهير ممثليه "يهودا التقي" (1217م) المعروف بآثره الذائع الصيت كتاب "التقي"<sup>31</sup>

25- فيصل بدير عون: التصوف الإسلامي الطريق والرجال (المرجع السابق)، ص 44.

26- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م) ص 28

27- المرجع نفسه، ص 36

28- فاطمة داود: التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله، (مجلة حوليات التراث، العدد 01/2004م)، ص 80

29- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، مصر، 1991، ص 32

30- كتاب أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، (مرجع سابق)، ص 14

31- حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي "أطواره ومذاهبه"، (معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م)، ص 115

اما التصوف في الاسلام فلم يمنع هو الآخر من تأثير التصوف الفارسي، فبعد دخول أهلها الاسلام (بلاد فارس) صبغت بعض المبادئ الاسلامية بالصبغة الصوفية القديمة الزرادشتية،<sup>32</sup> ويرد تأثير هذه الديانة على التصوف إلى دور الفرس في الدولة العباسية، واشتغال رجالها في الدواوين والوزارات، فنقلوا بعض أفكارهم للفكر الاسلامي.<sup>33</sup>

يرى "جولد تسهير" أن الصوفية تأثرت باليهودية مستدلاً بدخول بعض اليهود الاسلام، ووضعهم لكثير من الاحاديث النبوية (الاسرائيليات)، وأن نظرية التشبيه والتجسيم لدى اليهود تشبه نظرية الاتحاد والحلول لدى الفلسفة الاسلامية، ويقول الشهرستاني: "وجدوا التوراة مملوءة بالمشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهرا والنزول من طور سناء انتقالا والاستواء على العرش استواء."<sup>34</sup>

## 2- الأفلاطونية المحدثه:

أثرت الأفلاطونية المحدثه أيضا بطريقة أو بأخرى في الفكر الديني خاصة في المسائل الروحية، وعلى رأسها التصوف، حيث ركزت هذه الفلسفة على صلة النفس بالبدن من جهة، وعلى علاقة هذه النفس بالواحد من جهة أخرى، فالنفس عندها من عالم خالد أزلي، وأنها لسبب ما هبطت إلى البدن الذي هو مصدر كل الشرور والآلام، وأن ما أصاب النفس من جهل وقصر نظر وسوء تدبير إنما يرجع في المقام الأول إلى البدن، وانشغال النفس بتدبيره وترك عالمها الاعلى، وعلى المرء إذا أراد المعرفة الحقيقية أن يتخلص من البدن ومن همومه.<sup>35</sup>

ففي اليهودية نجد أن فلسفتها قد أخذت منحى حلولي في أغلب الأحيان، وذلك بفضل تأثيرها بالفلسفة اليونانية عن طريق "فيلون السكندري" الذي كان واقعاً تحت تأثير الحضارة الهيلينية، ولم يكن يعرف العبرية مطلقاً، ومع هذا فإن ثمة نزعة حلولية قوية في فلسفته، وكذلك موسى بن ميمون، بطل كل المفكرين العقلانيين اليهود، فقد كان متأثراً تأثراً عميقاً بالحضارة العربية الإسلامية،<sup>36</sup> والتي هي الأخرى كانت تحت وطأة الفكر اليوناني في الكثير من مباحثها.

لعبت الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثه دورا كبيرا في الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامي،

32- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، (مرجع سابق)، ص 28

33ك- فاطمة داود: التصوف الاسلامي مفهومه وأصوله، (مرجع سابق)، ص 80

34- المرجع نفسه، ص 82

35- فيصل بدير عون: التصوف الاسلامي الطريق والرجال، (مرجع سابق)، ص 71

36- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " اليهودية .. المفاهيم والفرق (مرجع سابق)، ص 244

من خلال مؤلفات أفلوطين، حيث وصلهم كتاب الربوبية وهي ترجمة مختصرة للكتب الثلاثة الاخيرة من تاسوعات أفلوطين، وكان تصوف أفلوطين فلسفيا ولم يكن دينيا غير أنه كان يخضع بسهولة للتفسير في ظل الآلهيات، كما أصبحت الأفلاطونية المحدثثة في مجموعها مذهبا لاهوتيا على يدي "يامبليخوس" (فيلسوف روماني سوري/ق4)، و وثني حران وأمثالهم، كما أثرت الكتب المنسوبة إلى ديونيسيوس (يعقوب بن صليبي) كان موجودا في الاسلام في ذلك الوقت، فالكتابات المنسوبة إلى ديونيسيوس تشمل على مؤلفات أربعة الاثنان منها هما "اللاهوت صوفي" وهو كتاب ذو فصول خمسة،<sup>37</sup> وآخر اسمه " أسماء الله" وفيه ثلاثة عشر فصلا، وكان هذا الكتاب مصدرا رئيسيا للاهوت الصوفي، في المسيحية، وقد ورد أول ذكر لهذه الكتابات سنة 532م، حين يرجح أنه من تأليف ديونيسيوس تلميذ القديس بولس أو تمثل تعاليمه على الأقل، وهذه المؤلفات قد تُرجمت إلى السريانية بعد زمن قصير من ظهورها بالإغريقية، ولابد أن يكون المسلمون قد عرفوها لكونها معروفة عند المسيحيين السريانيين.<sup>38</sup>

ب-الاتحاد والفناء ووحدة الوجود:

#### 1-اليهودية:

تعد القبالة من النمط الحلولي الغنوصي القوي. فالمتصوف اليهودي لا يتجه نحو تطويع الذات الإنسانية الفردية وخدمة الإله، وإنما يحاول الوصول إلى فهم طبيعة الإله من خلال التأمل والمعرفة الإشراقية الكونية (الغنوص أو العرفان) بهدف التأثير في الإله والتحكم الإمبريالي في الواقع. ومن هنا، كان ارتباط التصوف اليهودي أو القبالة بالسحر، ومن هنا أيضاً كانت علاقة السحر بالعلم والغنوصية. فالتصوف اليهودي الحلولي يتجه نحو الاتحاد مع الإله والالتصاق به (ديفيقوت)، وهو اتحاد يؤدي إلى وحدة الوجود ووحدة الوجود يُفترض أنها تؤدي إلى الكشف الصوفي لطبيعة الإله وإمكانية التواصل معه ثم التحكم فيه،<sup>39</sup> ويكون ذلك بحلول الإله في الطبيعة والإنسان والتاريخ، ويتوحد معها ويصبح لا وجود له خارجها، فيُختزل الواقع بأسره إلى مستوى واحد يخضع لقانون واحد. ومن ثم، يستطيع من يعرف هذا القانون (الغنوصي) أن يتحكم في العالم بأسره، وهو هدف المتصوف في هذا الإطار.<sup>40</sup>

37- فيصل بدير عون، التصوف الاسلامي، الطريق والرجال، (مرجع سابق)، ص 70

38- المرجع نفسه، ص 71

39- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " اليهودية ..المفاعيم والفرق (مرجع سابق)، ص 245

40- المرجع نفسه، ص 244

## 2-المسيحية:

أما بالنسبة للمسيحية فغاية الرهينة هي أيضا أن يتحد الانسان بالله اتحادا لا رجعة فيه، وهذه الرؤيا ترجع إلى الإحساس بالمسيح الذي اتحد بالطبيعة البشرية والذي اتحدا عن طريق الإيمان.<sup>41</sup>

يقول المسيح في هذا الصدد: "الحق الحق أقول لكم، من آمن بي فله الحياة الأبدية أنا هو خبز الحياة، آبائكم أكلوا المن في البرية وماتوا ولكن من يأكل هذا الخبز النازل من السماء لا يموت، أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، من أكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أعطيه هو جسدي أبذله من أجل حياة العالم"<sup>42</sup>.

ومن وسائل الاتحاد "الاستحالة" وهو عبارة عن علم اللاهوت المدرسي، تدل على تحول الخبز والخمر في أثناء التقديس إلى جسد المسيح ودمه،<sup>43</sup> وهي من الشعائر النصرانية، حيث يقوم الراهب بإختيار الرغيف من الخبز ثم تلاوة صلوات عليه، ويعتقد النصار بأن المسيح يتجسد في الخبز تجسيدا كاملا، فمن يأكل الخبز، فقد أكل جسد المسيح " الرب" ليثبت فيه كما أن من يشرب الخمر في القداس، فقد شرب من دم الرب ، فيكون الرب فيه فيعطيه قوة وينير له الطريق<sup>44</sup>

## 3- الفناء و وحدة الوجود في التصوف الاسلامي:

أول من أدخل بنظرية الفناء هو أبو يزيد البسطامي(270هـ-785م) أي فناء الانسان عن نفسه لا شعوريا بذاته مع الله، ثم تطورت هذه النظرية إلى الحلول والاتحاد مع الله على يد الحسن بن المنصور الحلاج (309هـ-922م)، أي حلول الذات الإلهية في المخلوقات، واتحاد طبيعة الإنسان في الطبيعة الإلهية حتى تصبح حقيقة واحدة.<sup>45</sup>

أما ابن عربي صاحب نظرية وحدة الوجود فهو يرى أن العالم وُجد قبل أن يخلق تماما كالأفكار التي تولد في ضمير الإنسان قبل تجسيدها، بمعنى آخر أن الأشياء لم تخلق من العدم، ويرى أيضا أن الطبيعة هي المظهر الخارجي للذات الإلهية، والانسان هو العالم الصغير الذي تتحد في ذاته

41- محمود عبد الرزاق حسن محمود: قراءة التصوف الإسلامي في المدرسة الفرنسية الاستشراقية. ص37

42\_ يو:51\_47/6.

43\_ صبحي حموي اليسوعي:معجم الإيمان المسيحي، ط1،(دار المشرق، لبنان، بيروت،1999)،ص34.

44\_ ياسر جبر:البيان الصحيح لدين المسيح، ط1،(دار الخلفاء الراشدين، مصر،الإسكندرية،2007م)،ص30.

45- أسعد السحمراني: التصوف منشؤه ومصطلحاته،(دار النفاثس، بيروت1987م)، ص115

والوجود في جوهره واحد و وجود الأشياء جميعها إنما هو " الله " ما ثم إلا هو وما هو إلا هو، فوحدة الوجود عنده ليست حلولا عللا الحقيقة لأن الحلول نزول الإله في شخص من

الأشخاص، والصوفية ليس هذا اعتقادهم، والاتحاد هو شيوع الألوهية في العالم كله.<sup>47</sup>

إن ما تم التقديم له فيما يخص الفناء و وحدة الوجود في كل من القبالة والرهبنة والتصوف هي نفسها ما جاءت به الأفلاطونية المحدثة.

حيث يوضح أفلوطين أن على النفس البشرية أن تتحد بمصدر المعرفة وذلك عن طريق ما أسماه حالة الوجد، وهي حالة " يسقط فيها كل شيء من الموجودات ولا يكون شيء من الأغيار موجودا فتكون النفس حسنة في حالة الفناء والطمس والمحو، أي تزول كل المظاهر الخارجية بالنسبة إليها ويصبح كل شيء في حالة عماء، وبعد أن يتخطى المرء هذه المرحلة التي لم يعد يدرك فيها أين هو أي أن يتخطى المرء مرحلة " الصعق " إلى مرحلة " الكمأنينة " يصبح هو الله بحيث لم تعد النفس البشرية في واد ومعرفتها في واد آخر، فلقد أضحى العالم والمعلوم شيئا واحدا، فالنفس هي الله، والله هو النفس، قال افلاطون، أنى ربما خلوت بنفسي وخلعت بنفسي بدني جانبا وصرت كأني جوهر مجرد بلا بدن فأكون داخلا في ذاتي راجعا إليها خارجا من أثر الأشياء فأكون العلم والعالم والمعلوم جميعا، فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء والضيء ما أبقى له متعجبا بهتا فاعلم أنى جزء من اجزاء العالم الشريف الفاضل الإلهي ذو حياة فعالة.<sup>48</sup>

#### 4- حركة الترجمة والتجارة:

لا يستطيع أحد أن يجادل أو يشك في أن الديانة المسيحية واليهودية كانتا منتشرتان في الجزيرة العربية وفي تلك البقاع التي امتدت لها الفتوحات الإسلامية خاصة الأندلس، ومع ازدهار العالم الإسلامي ظهرت حركة الترجمة التي انشغل بها كل من اليهود والمسيحيين،<sup>49</sup> حيث شجع كبير أساقفة المسيحيين "دون ريموندو" (Don-raimondo) المتوفى سنة 1151م الباحثين على السفر إلى الأندلس والعمل لنقل الكتب العربية إلى اللاتينية، وبعد القرن الثاني عشر للميلاد العصر

46- محمد عباسية: التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثير، (مجلة حوليات، العدد 10/2010)، ص 12

47- فاطمة داود: التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله، (مرجع سابق)، ص 85

48- فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي: الطريق والرجال، (مرجع سابق)، ص 72

49- المرجع نفسه، ص 63

الزاهر لحركة الترجمة في طليطلة واستمرت هذه الحركة إلى القرن الثالث عشر، حيث أشرت نهايته اختتام العصر الزاهر للترجمة من العربية إلى اللاتينية،<sup>50</sup> أما بالنسبة للمترجمين اليهود فقد كان أشهرهم أسرة طيبون بالأندلس "كموسى بن طيبون وصموئيل طيبون"، وكذلك "يعقوب بن أبي مريم بن أبي شمشون".<sup>51</sup>

قد أثرت هذه الديانة بتعاليمها في نشأة التصوف الاسلامي وتأثر بها، وهذا واضح في الكثير من المباحث كالرهبة والفناء.<sup>52</sup>

### خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة استخلصنا مجموعة من النتائج من بينها:

- أن التصوف ملازم للإنسان أينما كان، ومتى كان، توجد من ثم بذور للتصوف في كل مجتمع إنساني، وهذه البذور تتشابه فيما بينها، وتنتقل من مجتمع إلى آخر ولو كان الدين مختلفا.
- صعوبة تحديد مفهوم مصطلح "تصوف" والبحث عن الأصل الذي نشأ عنه، فالتصوف كظاهرة إنسانية تآثر وأثر أفاد من الثقافات السابقة عليه وأثر فيمن جاء بعده
- يعود الفكر الصوفي إلى كل من الفلسفة الأفلاطونية المحدثة والفارسية خاصة في مسألة الاتحاد والحلول.
- ساهمت حركة الترجمة والاحتكاك الجو-سياسية في نقل الفكر الصوفي.
- التصوف تجارب بشرية عرفها الإنسان عبر العصور، حاول أن يعبر عنها من خلال البيئة التي تحيط به، وباللسان السائد حينها ترجم من خلالها شعوره ومعاناته النفسية والاجتماعية،
- التصوف في التاريخ عبارة تجارب البشرية الروحية لذلك نجده دائما يتصل بالدين، مهما كانت صفة ذلك الدين صحيحا أو فسادا،
- تخضع الممارسات الصوفية إلى تحليل وتفسير فلسفي ميتافيزيقي غيبي يندرج ضمن المقدس (الطابو)، يبقى بين ممارسيه يعبرون عنها بحركاتهم تارة وبصيغ خاصة لهم تعد مجالا للعبور بينهم.
- تختلف مفاهيم الممارسات الصوفية من مجتمع لآخر باختلاف قراءاتهم لها، والتبريرات التي يقدمونها، حتى ولو كانت تلك الممارسات مشتركة بين مجتمعات مختلفة.

50- مقدار عرفة منسية: ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب، ط1 (منشورات المجمع الثقافي تونس، 1999م)، ج2 ص335.

51- ارنست رينان: ابن رشد والرشدية تر: عادل زعيتر، دط، (دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1957 ص201.

52- فيصل بدير عون، التصوف الاسلامي: الطريق والرجال، (مرجع سابق)، ص63

## قائمة المصادر والمراجع:

1. أبي نصر السراج الطوسي: اللمع، تحق: عبد الحلیم محمود وعبد الباقي سرور، دط، (دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م)
2. احسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، ط1، (إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1986م).
3. أحمد محمود صبحي: التصوف، دط، (دار المعارف، مصر، دت).
4. ارنست رينان: ابن رشد والرشدية تر: عادل زعيتر، دط، (دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م)
5. أسعد السحمراني: التصوف منشؤه ومصطلحاته، (دار النفائس، بيروت 1987م).
6. آلان أنتومان: اليهود عقائدهم الیديني وعباداتهم، تر: عبد الرحمان الشيخ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2004م).
7. جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ط-ي) (دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982م) ج2.
8. حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي " أطواره ومذاهبه "، (معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م).
9. صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ط1، (دار المشرق، لبنان، بيروت، 1999).
10. عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م).
11. عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، مصر، 1991).
12. عبد الله المصلح: التصوف في تهامة اليمن ، ص14، الموقع: [www.alsoufia.com](http://www.alsoufia.com)، التاريخ: 2018-02-06م.
13. عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " اليهودية .. المفاهيم والفرق " ط1، المجلد 5، (مصر، 1999م).
14. فاطمة داود: التصوف الاسلامي مفهومه وأصوله، (مجلة حوليات التراث، العدد 01/2004م).
15. فضيلة سنوسي: التفسير الحلولي لمسألة الخلق في التصوف اليهودي، مجلة مقاربات فلسفية، (الجزائر المجلد 9/العدد1(2022))، ص97
16. فيصل بدير عون: التصوف الاسلامي الطريق والرجال، دط (مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس، مصر، 1983م).
17. كتاب أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، دط، (دار الأمل، الأردن، 2003).
18. محمد عباسة: التصوف الاسلامي بين التأثير والتأثير، (مجلة حوليات ، العدد 10/2010).
19. -محمود عبد الرزاق حسن محمود: قراءة التصوف الإسلامي في المدرسة الفرنسية الاستشراقية" ماسينيون نموذجاً"، (رسالة ماجستير ، كلية الآداب قسم الفلسفة، جامعة بنغازي ليبيا، 2012م).
20. مقدار عرفة منسية: ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب، ط1 (منشورات المجمع الثقافي، تونس، 1999م)، ج2.
21. ميخائيل لايمان: علم الكبله للمبتدئين ، ط3 (دار النشر حكمة الكابالاة ، 2005م).
22. ميخائيل ميانان : علم اللاهوت ( أهم الاختلافات العقديية بين الكنيسة القبطية والكنايس البروتستانية)، دط، دت.
23. ياسر جبر: البيان الصحيح لدين المسيح، ط1، (دار الخلفاء الراشدين، مصر، الإسكندرية، 2007م).